المحاضرة الثالــثة :الإحيـــــــــاء الشعري في المغرب العربي

1-تمهيد :

شهد الأدب العربي في القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين نهضة واسعة عرفت بحركة الإحياء و البعث ،التي سعت إلى تجديد الشعر العربي و العودة به إلى صفائه و أصالته بعد قرون من الضعف و الجمود.

أما في المغرب العربي فقد تزامنت هذه الحركة مع ظروف سياسية تمثّلت في الاستعمار الأوروبي (الفرنسي في الجزائر و المغرب و تونس ،و الإيطالي في ليبيا)،مما جعل الأدب و خاصة الشعر يتّخذ طابعا مزدوجا :فنيا و وطنيا .

و قد تأثرت حركة الإحياء في المغرب العربي بنظيرتها في المشرق العربي، و ذلك عبر البعثات العلمية و كذا رحلات الحج و التجارة و غيرها.

2-حالة الشعر في المغرب العربي خلال الفترة الاستعمارية

عرف الشعر في المغرب العربي خلال الفترة الاستعمارية تحوّلاً عميقاً في طبيعته ووظيفته، إذ انتقل من التعبير عن العواطف الفردية والمناسبات التقليدية إلى أن يصبح **لساناً للأمة وصوتاً للمقاومة** في وجه الاحتلال الأجنبي. فقد فرضت الظروف السياسية الجديدة، المتمثّلة في **الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830م)** وتونس (1881م) والمغرب (1912م) و**الاحتلال الإيطالي لليبيا (1911م)**، واقعاً ثقافياً جديداً كان له أثر بالغ في الأدب والشعر على السواء. وفي ظل هذه الأوضاع، تحوّل الشعراء من مادحين للحكّام إلى **مناضلين بالكلمة**، يعبّرون عن آلام شعوبهم وآمالهم في الحرية والاستقلال، ويذودون عن اللغة العربية والهوية الإسلامية في مواجهة سياسة الطمس والاستلاب الثقافي التي انتهجها المستعمر.

لقد تميّز الشعر في هذه المرحلة بقدرٍ كبير من **الالتزام والجدّية**، فغابت عنه النزعة الترفيهية والوجدانية التي سادت في عصور الانحطاط، وحلّت محلها **النبرة الوطنية والدينية** .فكان الشعر أداةً للتوعية السياسية والدعوة إلى النهوض، ومجالاً لبثّ روح الصمود والوحدة بين أبناء الوطن الواحد. كما ظهرت في القصائد رموز البطولة والشهادة والكرامة، وتجلّى الإيمان العميق بعدالة القضية الوطنية. ولم يقتصر الشعر على الوعظ والمقاومة المباشرة، بل عبّر أيضاً عن **الحنين إلى الوطن** و**الأسى على ما لحق بالأمة من تفرّق وضعف.**

وعلى المستوى الفني، ظل شعراء المغرب العربي متمسكين بالبنية الكلاسيكية للشعر العربي من حيث **الوزن والقافية**، واستلهموا التراث الشعري العربي في ألفاظهم وصورهم ومعانيهم، تأكيداً للانتماء إلى الهوية العربية والإسلامية. غير أنّ بعضهم حاول إضفاء **نَفَسٍ إصلاحي جديد** على هذه القوالب، مستلهماً من شعراء المشرق، ولا سيّما من مدرسة الإحياء المصرية التي مثّلها محمود سامي البارودي وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم. ومن ثمّ، فقد أصبح شعر المغرب العربي في هذه الحقبة **مرآةً للواقع الاستعماري**، يجمع بين الأصالة الفنية والوعي السياسي، ويعبّر بصدق عن وجدان الأمة التي وجدت في الشعر وسيلة للمقاومة الثقافية حين حُوربت بالسلاح والفكر في آنٍ واحد.

و من أبرز شعراء المرحلة نجد الأمير عبد القادر الجزائري .ومن بعده برز شعراء آخرون

أمّا في تونس ،فقد برز اسم محمد السنوسي (1844–1900) الذي جمع بين الأصالة العربية و النزعة الإصلاحية الحديثة ،فعبّر عن القيم الوطنية و الاجتماعية و ساهم في إحياء اللغة العربية في وجه محاولات فرنستها،و في مرحلة لاحقة برز اسم أبو القاسم الشابي (1909–1934).

3–جهود الشعراء للنهوض بالشعر العربي :

بذل شعراء المغرب العربي خلال الفترة الاستعمارية جهوداً كبيرة لإحياء الشعر العربي والنهوض به بعد قرونٍ من الركود، فكانوا رواد نهضة فكرية وأدبية امتزج فيها الهمّ الفني بالرسالة الوطنية والإصلاحية. وقد تنوّعت جهودهم بين المحافظة على مقوّمات الشعر العربي الأصيل وتجديد مضامينه بما يعبّر عن واقع الأمة ومعاناتها، فشكّلوا حلقة وصل بين التراث العربي الكلاسيكي والتطلعات الحديثة التي حملتها النهضة الفكرية في العالم العربي.

أولا: الحفاظ على اللغة العربية والهوية الثقافية:

في مواجهة سياسة "التمسيخ الثقافي" التي انتهجها الاستعمار الفرنسي والإيطالي، جعل الشعراء من لغتهم سلاحاً للمقاومة. فقد صانوا العربية من الاندثار عبر نظم القصائد بالفصحى، وتدريسها في المدارس الحرة والزوايا. فكان الشعر أداةً لغرس الاعتزاز بالهوية العربية والإسلامية.

يُعدّ الأمير عبد القادر الجزائري من أوائل من استخدم الشعر لترسيخ روح المقاومة والتمسك بالدين، بينما اتخذ محمد العيد آل خليفة وعبد الحميد بن باديس من القصيدة وسيلة لتربية الجيل الجديد على حبّ العربية والإسلام والوطن.

ثانيا :إضفاء البعد الوطني والإصلاحي على الشعر:

جعل شعراء هذه المرحلة من القصيدة منبراً للدعوة إلى الحرية والاستقلال والإصلاح الاجتماعي .فقد تحرّر الشعر من موضوعاته التقليدية كالمدح والغزل، واتجه إلى التعبير عن الوطن ، في الجزائر مثلاً، عبّر مفدي زكريا عن روح الثورة والكفاح في ملحمته "إلياذة الجزائر"، وفي تونس دعا محمود قابادو ومحمد السنوسي إلى إصلاح المجتمع ونبذ الجهل والجمود، بينما كان شعر علال الفاسي في المغرب صرخةً ضدّ الاحتلال ودعوة إلى وحدة الصفوف. أصبح الشعر بذلك أداةً للتعبئة الفكرية والسياسية، ومصدراً لإلهام الجماهير بالوعي والكرامة.

ثالثا :الربط بين الأصالة والتجديد

حرص الشعراء الإحيائيون على المحافظة على القوالب الكلاسيكية للشعر العربي (الوزن والقافية واللغة الجزلة)، لكنهم لم يكتفوا بذلك، بل جدّدوا في المضمون والمعنى.

استلهموا من شعراء المشرق، كالبارودي وشوقي، لكنهم أضفوا على شعرهم روحاً مغاربية مميزة تستلهم البيئة المحلية والنضال التحرّري. وهكذا أصبح شعرهم يجمع بين البلاغة القديمة والنبرة المعاصرة، بين الروح القومية والخيال الفني.

رابعا :توظيف الشعر في خدمة التربية والنهضة الفكرية

لم يكن الشعر فناً معزولاً، بل وسيلة لنشر الوعي وبناء الإنسان. فقد استخدمه الشعراء كأداةٍ للتعليم الأخلاقي والديني، كان شعر محمد العيد آل خليفة وابن باديس نموذجاً لذلك، إذ وجّها الشعر لخدمة الحركة الإصلاحية والتعليمية. كما استخدم شعراء تونس والمغرب شعرهم لدعم المدارس الوطنية، والمطالبة بإحياء التراث الإسلامي والعلمي.

خامسا :إحياء التراث العربي الإسلامي

سعى الشعراء إلى استحضار رموز التاريخ العربي والإسلامي، واستلهام بطولات الأجداد لتقوية عزائم الشعوب. فاستدعوا شخصيات مثل صلاح الدين وطارق بن زياد وعبد الرحمن الداخل، وقرنوا بينها وبين واقعهم تحت الاستعمار، ليبعثوا في الأمة روح العزة والمقاومة. هذا التوظيف للتراث منح شعر الإحياء بعداً تاريخياً وحضارياً عميقاً، وأكسبه وظيفة رمزية في بعث الوعي الجمعي.

4- نصوص و تطبيقات :

يقول الأمير عبد القادر الجزائري :

يا عاذرا لامرئ قد هام في الحضر و عاذلا لمحب البدو و القفر

لا تذممن بيوتا خف محملها و تمدحن بيوت الطين و الحجر

لو كنت تعلم ما في البدو تعذرني لكن جهلت و كم في الجهل من ضرر

أو كنت أصبحت في الصحراء مرتقيا بساط رمل به الحصباء كالدّرر

أو جلت في وضة راق منظرها بكل لون جميل شيّق عطر

تستنشقنّ نسيما طاب منتشقا يزيد في الروح لم يمرر على قذر

رأيت في كل وجه من بسائطها سربا من الوحش يرعى أطيب الشجر

ما في البداوة من عيب تذم به إلّا المروءة و الإحسان بالبدر

الأسئلة :

-تحدث عن المزج بين النزعة الوطنية و النزعة الصوفية في القصيدة ،مع ذكر أمثلة من النّصّ.

-كيف استطاع الشاعر أن يعبر عن ذاته الفردية بطريقة تجعلها مرآة لمعاناة شعبه ؟

-وضّح أثر تجربة الجهاد و المنفى في تشكيل المعاني و الصور الشعرية في القصيدة .

-ما البحر الشعري الذي نظم عليه الشاعر قصيدته ؟و ما أثره في موسيقى النّصّ ؟

-استخرج من النّصّ مواضع الموسيقى الداخلية ،و بيّن أثرها على موسيقى النص.